ـكراً للشيطان الأكبر!

حسابات واضحة. قرار أملاه انفلات التنظيم من عقاله عندما أصبح يشكل خطراً داهماً على المصالح الأميركية في المنطقة، باندفاعه نحو أربيل والحدود السعودية. وبالتالي، بات يمكن فهم تحديد واشنطن مدة العملية بثلاث سنوات، ما يعني أنها أطلقت مساراً عسكرياً (process) وليس عملية (operation)، تسعى من خلاله إلى تثمير الجهود العسكرية سياسياً من دون أن تمتلك رؤية واضحة لكيفية القيام بهذا الأمر.

سارعت إيران إلى نوعين من الإجراءات: الأول احترازي، من نوع تحصين المنطقة الممتدة من بغداد جنوباً إلى الحدود السعودية، ومعها الأماكن المقدسة وخاصة في سامراء، مع تعزيز وجود الحرس الثوري على الحدود الإيرانية مع العراق. وأعطت إشارات إلى أنها قادرة على حماية مصالحها. معركة أميرلي (الاسم الأصلي أمير علي) كانت مفصلية في هذا السياق. حضور قائد فيلق القدس الجنرال الإيراني قاسم سليماني بالغ الدلالات. جاء تحريرها بأيد عراقية وقيادة إيرانية، مرفقاً مع رفض جميع عروض المساعدة الجوية الأميركية في رسالة مباشرة لواشنطن بأن «الإيرانيين قادرون على حماية التجمعات الحليفة لهم».

اما النوع الثاني فتحذيري، عبر رسم مجموعة من الخطوط الحمر تحت طائلة قلب الطاولة على الجميع في العراق وسوريا. من بينها على سبيل المثال عدم التعرض للنظام السوري الذي يجب الاستحصال على موافقته على أي ضربة داخل الأراضي السورية.

بالتزامن، وضعت إيران يدها على الزناد وأخذت تراقب ما يجري وفق رؤية مبنية على مجموعة من الحسابات المعقدة. هي تدرك أن الأميركيين سيتجنبون خدمة محور المقاومة، وسيعملون على سيطرة فصائل موالية على الأماكن المشمولة بالعملية.

في العراق، لا يبدو أن الأميركيين قادرون على تحقيق شيء من هذا، أما في سوريا، فهم يحاولون مع حلفائهم ودون توقف، القيام بخطوة مماثلة من دون نجاح، فما الذي تغير اليوم؟

تدرك طهران أن المعركة كلها تدور في غير مناطق نفوذها، وأطرافها من غير المحسوبين عليها، وبالتالي فإن خسائر تلك المعركة لن تكون من حسابها. كل ذلك في ظل قرار صدر عن أعلى مستوى في إيران بعدم المشاركة في التحالف لأسباب متعددة، من بينها أن مشاركة كهذه تتعارض مع الصورة التي تقدمها إيران عن نفسها كند للولايات المتحدة. كما أن التحالف، وإن تقاطعت أهدافه بضرب «داعش» مع أهداف إيران، إلا أنه تقاطع ظرفي، ذلك أن أهدافه النهائية تتناقض ومشروع طهران في المنطقة. هناك أيضاً نظرية أن عدم المشاركة يعطي الجمهورية الإسلامية مساحة أكبر من المناورة، مع القدرة دوماً على تثمير ضربات التحالف لصالحها. لكن الأهم هو أن عدم مشاركتها يظهّر حقيقة أن الصراع ليس سنياً شيعياً، وإنما صراع مصالح ومشاريع، بدليل أن الأطراف المتقاتلة تنتمي إلى منظومة عرقية ومذهبية واحدة (داعش والنصرة والسعودية والإمارات والأردن وقطر).

البعد الثالث للمقاربة الإيرانية يفيد بأن التحالف مليء بالتناقضات التي ستفجره، أو تعطله. من السعودية، البيئة المؤسسة والحاضنة لـ«داعش» التي بات نظام آل سعود يخشى على نفسه منها، الى تركيا، الراعي الأمني واللوجستي والعسكري للتنظيم الذي بات يعتبر، بعد الخسارات الإقليمية المتتالية لأنقرة، أداة القوة الإقليمية الأساسية التي لا تزال تمتلكها. ثم هناك مصر، المتمسكة بإدراج «الإخوان المسلمين» ضمن أهداف التحالف باعتبارها تنظيماً إرهابياً، هي التي ترى أولويات المواجهة في كل من سيناء وليبيا والسودان، وصولاً الى قطر، الراعي المالي للتنظيم، الذي يتعرض لضغوط مزدوجة، خليجية وأميركية. والأردن، الذي يمثل خط الدفاع الإسرائيلي الأمامي، والذي اضطر إلى أن يرمي بنفسه في هذه المواجهة، في ظل وعد معلن بالتحرك الفوري لجيش الاحتلال دفاعاً عنه في حال بلوغ «داعش» أراضيه.

لكن، ماذا سيحصل لو استغل «التحالف» الغارات في سوريا ليوجه ضربة قاصمة للنظام؟

السؤال ترده المصادر الإيرانية الى فرضية تقوم على أنه سبق لأميركا أن أخذت قراراً بضرب النظام السوري وأنها كانت تنتظر الحجة، فجاءتها «داعش». «افتراض خاطئ» تؤكده المصادر التي ترى أن ضرب النظام السوري أميركياً ليس بحاجة إلى حجة، مشيرة إلى أن ملف الأسلحة الكيميائية كان يشكل، في حينه، حجة أقوى وسبباً أدعى ولم تحصل الحرب. ثم إن واشنطن لا تنقصها القوة النارية لضرب النظام السوري، ما منع أميركا وقتها من ضرب النظام – تقول المصادر – هو باختصار قدرة الردع لدى محور المقاومة، وهي للمناسبة «تزداد قوة».

حتى اليوم، تسير العملية الأميركية وفق «ضوابط» تعتبرها إيران «آمنة أو غير خطرة»، فضلاً عن كونها تكشف عن أن عقدة الأميركي من النزول إلى البر تثقل حركته وتكبل يديه.

مراقب يستعيد الغزو الأميركي لأفغانستان عام 2001 وللعراق عام 2003، ويقول: «بينما كانت القذائف الأميركية تنهمر على كابول وبغداد، كان لسان حال الإيرانيين يقول: شكراً أيها الشيطان الأكبر»؛ فقد سقط حكم طالبان وحكم صدام، ومعهما زال حاجزان أعدّا خصيصاً لمنع تمدد النفوذ الإيراني»... فهل تتكرر الحادثة اليوم؟

على جدية روسيا في الدفاع عن مصالحها في سوريا من خلال الدعم الذي تقدمه لحكومة دمشق.

إذا كانت دمشق لا تشكل الحلقة الأهم والمواجهة الوحيدة بين روسيا والولايات المتحدة، خاصة أن أوكرانيا أكثر التصاقاً بالمصالح الكبرى والمدى الحيوي للحيز الروسي بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، وأكثر تأثيراً وبالتالي خطراً على أوروبا، فإنها، أي سوريا، لا شك تمثّل نقطة ثقل مهمة في سياسة روسيا التي تسمح لها بالعودة إلى الساحة الدولية كلاعب كبير، بعد أن أعادت بناء قوتها جزئياً بالنسبة إلى ما كانت عليه إبان الحقبة السوفياتية، بفضل سياسة يقودها فلاديمير بوتين.

فروسيا التي أعادت بناء منظومة السلطة فيها، وهو ما يسميه بوتين «عمودية السلطة»، وأوقفت النهب المنظم لاقتصادها بفعل السياسات الليبرالية الصادمة، واستفادت من ريع النفط بفضل ارتفاع الأسعار عالمياً، باتت تملك ولو جزئياً إمكانات سياستها الدولية. وهو ما أثبتته في أوكرانيا، بالرغم من الثمن الاقتصادي والمالي للمواجهة السياسية مع الغرب الذي يرفض حتى الساعة الإقرار بأن لدول مثل روسيا مصالح وطنية أسوة بأي دولة «قطع وسك» في الاتحاد الأوروبي.

وهذا ما تثبته روسيا مجدداً بتمسكها بشرعية الدولة السورية، خاصة بعد ما حصل في ليبيا، والدعم الكبير الذي قدمته لدمشق منذ بداية الأزمة حتى اليوم، على أكثر من صعيد. وهو ما يفسر موقفها من الحرب في سوريا وعليها. فالمسألة أبعد من قاعدة بحرية في طرطوس كان قد نبت العشب على أدراجها عشية الأزمة في 2011. المسألة متعلقة بعودة روسيا لاعباً أساسياً على الساحة الدولية، وحاجتها إلى شركاء إقليميين أصغر منها من أجل توازن علاقتها مع جيران أقوياء على رأسهم الصين.

لا شيء إلى الآن يؤشر إلى تغيّر دراماتيكي في موقف روسيا من الأزمة السورية، خاصة أن الموقف من الضربات الأميركية يؤكد هذا الاتجاه، ربما لأن هذا الدعم يستند إلى معطى موضوعي بسيط وأساسي، وهو قدرة النظام أساساً على المواجهة، والأوراق التي راكمها منذ عقود.

نهاية هذه «المغامرة» لن تكون بيد أميركا

أتهم الرئيس الإيراني حسن روحاني «أجهزة مخابرات ودولاً»، لم يسمّها، بتمويل وتسليح الإرهابيين. ورأى أن الغرب يعتمد «استراتيجية مغلوطة» في الشرق الأوسط أدت إلى قيام ملاذات «للإرهابيين والمتطرفين». ودعا روحاني، في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة أمس، «أولئك الذين لعبوا دوراً في تمويل الإرهابيين» الى الاعتراف بخطأهم، وتقديم الاعتذار، «ليس من الشعوب فقط، ولكن من الأجيال القادمة». وفيما أكد أن الغرب يزرع الكراهية لدى شعوب العالم، رأى أن الحل الصحيح لهذه «الورطة» يأتي من داخل المنطقة وهو حلّ إقليمي، أما إذا أرادت دول أخرى أن تدعمه فيمكنها ذلك.

في السياق نفسه، أعلن مساعد وزير الخارجية للشؤون العربية والافريقية حسين أمير عبد اللهيان أن الضربات الجوية الأميركية على سوريا هي إعلامياً ضد «داعش»، إلا أنها تستهدف وبشكل واضح المدنيين والبنية التحتية في سوريا. وأضاف عبد اللهيان، في حديثٍ لوكالة الأنباء الإيرانية الرسمية، أن أميركا اتخذت القرار بالدخول العسكري وبانتهاك السيادة الوطنية لسوريا، مصطحبةً معها عدد قليل من دول المنطقة. وأضاف أن نهاية المغامرة لن تكون بيد أميركا، وأن طهران تدعم سوريا «وبقوة» في محاربة الإرهاب، مشيراً إلى أن مستقبل سوريا السياسي بيد الشعب السوري، وأن القوى الوطنية السورية لن تكون عميلة للأجانب.

(إرنا، أ ف ب)

عربيات دوليات

السيسي: الأمور مع قطر في طريقها إلى الحل

كشف الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي (الصورة) أن الأمور تسير إلى الحل مع الدوحة، وذلك في تعقيبه على مصافحة أمير قطر، تميم بن حمد، له أثناء تناول الغداء في مقر الأمم المتحدة، أول من أمس.

وأوضح السيسي، خلال لقاء مع نحو 55 إعلامياً مصرياً في مقر إقامته في نيويورك أمس، أن تميم «صافحني أثناء تناول الغداء بعد كلمتي في الجمعية العامة، والأمور تسير في طريقها إلى الحل»، وأضاف: «ردّ التحية يطيّب الجراح، وهدفنا الاستراتيجي هو حماية مصر».

هادي: الحوثيون يريدون إسقاط اليمن في الفوضى

اتهم الرئيس اليمني، عبد ربه منصور هادي، جماعة «أنصار الله» بالسعي إلى «إسقاط اليمن في دوامة الفوضى والتشظي في سبيل تحقيق مكاسبها».

وأعلن هادي موقفه في كلمة أمس لمناسبة الذكرى «الثانية والخمسين لثورة سبتمبر والثالثة والخمسين لثورة أكتوبر».

وطالب هادي الحوثيين بالاعتراف بالسيادةِ الكاملةِ للدولةِ على أراضِيها كافةِ، «وفي مقدمتها العاصمة صنعاء، وتسليم المؤسساتِ والأسلحةِ المنهوبة كافةِ»، مضيفاً: «لقد خُذلنا ممن لم يَعرفوا أبداً في الوطنِ سوى مصالحِهم». ودعا الرئيس اليمني شعبه إلى «تجاوز حالة الصدمة»، وأعلن أنه لن يقبل أن «تنتهك حرمات البيوت وتهاجم مؤسسات الدولة»، مجدداً في الوقت نفسه شكره «لأخي خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وإخوانهِ من قادةِ مجلسِ التعاون الخليجي الذين وقفوا بجانبِ اليمن».

في غضون ذلك، قررت الولايات المتحدة، أمس، تقليص طاقم سفارتها لدى صنعاء جراء «التطورات السياسية والتغيرات الأمنية التي يصعب التنبّؤ بتطوراتها». وعُلم أيضاً أن السلطات اليمنية أطلقت سراح ثلاثة إيرانيين معتقلين لديها منذ أكثر من عام ونصف، كما قالت مصادر في جهاز الأمن القومي اليمني، وذلك بعد وساطة من سلطنة عمان.

(الأخبار)